Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 3 | No. 1 | Page 302 – 325 | 2024 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

المرأة والآخر في الرواية اليمنية المعاصرة: دراسة سوسيونصية في نماذج مختارة

The Woman and The Other in the Contemporary Yemeni Novel A Socio-Textual Study

عدنان يوسف أحمد الشعيبي

باحث– قسم اللغة العربية – كلية اللغات

جامعة صنعاء– اليمن

Adnan Yusef Ahmed Al-Shuaiby

Researcher- Department of Arabic Language
Faculty of Languages -Sana'a University -Yemen

مبخوت محمد أحمد العزي

باحث – قسم اللغة العربية – كلية اللغات

جامعة صنعاء– اليمن

Mabkhot Mohammed Ahmed AL-Ezzi

Researcher- Department of Arabic Language
Faculty of Languages -Sana'a University -Yemen

الملخص:

تناول البحث علاقة المرأة بالآخر وصوتها في الرواية اليمنية المعاصرة، من منظور سوسيونصي، وذلك في أربع روايات اتخذها أنموذجا لمقاربته؛ هي "صنعائي" لنادية الكوكباني، و"بلاد بلا سماء" لوجدي الأهدل، و"قهوة أمريكية" لأحمد زين، و"إنه البحر" لصالح باعامر، وقد وقف الباحث بعد التأطير المنهجي، على تجليات اللهجتين النسوية والأبوية في الروايات التي قاربها على المستوى المعجمي والتركيبي، كما وقف في مقاربة المستوى السردي على النموذج العاملي وصراع البرامج السردية النسوية والأبوية، وخطاب اللهجة والآخر بين الاتصال والانفصال. ثم وقف على تجليات أصوات المرأة في الرواية اليمنية المعاصرة، وهي أربعة أصوات؛ صوت المرأة المتعلمة والرافضة للوضع القائم، وصوت المرأة المتعلمة والمتصالحة مع الوضع القائم، وصوت ربات البيوت، وصوت المرأة المقهورة، كما وقف على البعد الرمزي للمرأة في الرواية اليمنية المعاصرة، الذي تبدو فيه معادلا موضوعيا للوطن، وانتهى بخاتمة لخص فيها نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: سوسيونصية، لهجة، نسوية، صوت، رواية، معاصرة، يمنية.

Abstract:

This paper aimed to examine the relationship of women with the other and their voice in the contemporary Yemeni novel, from a socio-textual perspective, in four novels chosen as a sample for this investigation which are: Sana'i by Nadia Al-Kawkabani, A Land Without a Sky by Wagdi Al-Ahdal, American Coffee by Ahmed Zein, and It's the Sea by Ba'amer. The researcher focused in the study framework on the manifestations of the feminist and paternal sociolecte in the novels at the lexical and syntactic levels. The researcher also examined the narrative level on the modele actantiel and the conflict between feminist and paternal narrative programs, and the discourse of feminist sociolecte and the masculine's in terms of connection and separation. The researcher also examined the manifestations of women's voices in the contemporary Yemeni novel, which are four voices: the voice of the educated woman who rejects the existing situation, the voice of the educated woman who is reconciled with the existing situation, the voice of housewives, and the voice of the oppressed woman. The study concluded with the symbolic dimension of women in the contemporary Yemeni novel, in which they appear to be an objective symbol to the homeland.

Keywords: A Socio-Textual, Sociolect, Feminism, Voice, Novel, Contemporary, Yemeni.

المقدمة:

ما سيقدمه الباحث في هذه الدراسة ليس من باب: وإني وإن كنت الأخير زمانه، لأتٍ بما لم تستطعه الأوائل، وإنما هو محاولة لمقاربة موضوع هذه الدراسة من زاوية مختلفة عما وقفت عليه دراسات سابقة، سواء أكانت رسائل علمية أم دراسات وبحوث أنجزها كُتاب وباحثون متخصصون ومهتمون بالرواية اليمنية وكيف تفاعلت مع القضايا الاجتماعية بصفة عامة أو مع قضايا المرأة بصفة خاصة. وزاية النظر المختلفة التي تحسب لهذه الدراسة هي مقاربة موضوع المرأة والآخر في الرواية اليمنية المعاصرة من منظور سوسيونصي، والسوسيونصية بوصفها منهجا تفترض أن للمرأة لهجة جماعية ولهذه اللهجة أصواتها وقد تفاعلت معها الرواية على مستوى التناص، وغاية الدراسة الكشف عن طبيعة ذلك التفاعل، وكيف تجسد على مستوى اللغة.

فرضيات الدراسة

تفترض الدراسة أن اللهجة النسوية تتصارع مصالحها بالضرورة مع اللهجة الأبوية بشكل مباشر ورئيسي كما تدخل في صراع مع اللهجات الأخرى، التي تتعارض مصالحها وبرامجها السردية معها، كما تفترض أن للهجة النسوية أصواتا متعددة تعبر عنها وليس صوتا واحدا.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى مقاربة علاقة المراة في الرواية اليمنية بالآخر الفرد/المجتمع، وذلك من خلال مقاربة اللهجتين النسوية والأبوية وبرنامجيهما السرديين، وكيف تجلى الصراع بين اللهجتين وتعارض مصالحهما، وصولا إلى مقاربة أصوات المرأة في الرواية اليمنية المعاصرة، وكيف تجلى ذلك على مستوى اللغة.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة بمحاولة الوقوف على طبيعة علاقة المرأة بالآخر في الرواية اليمنية المعاصرة، والكشف عن قضايا المرأة التي تتفاعل معها الرواية على مستوى التناص وتتجلى على شكل قضايا لغوية.

حدود الدراسة ومحدداتها

في هذا البحث سنحاول مقاربة استيعاب الرواية اليمنية المعاصرة للهجة النسوية عبر التناص وتجسيدها على المستوى المعجمي والتركيبي والدلالي، وهذا يقتضي بالمقابل مقاربة اللهجة الأبوية وكيف تفاعلت معها على مستوى التناص، وكيف تجلى ذلك على المستوى المعجمي والتركيبي.

وتشتغل الدراسة على أربع راويات، تم اختيارها أنموذجا؛ هي بلاد بلا سماء لوجدي الأهدل، وصنعائي لنادية الكوكباني، وقهوة أمريكية لأحمد زين، وإنه البحر لصالح باعامر. وهي روايات كتبت بين عامي 2007- 2013م. وقد تم الاشتغال على هذه الروايات بوصفها نماذج مختارة، راعى الباحث في اختيارها أنها معاصرة ومتقاربة زمنيا من حيث صدروها، كما حاول الباحث أن تكون لروائيين يفترض أنهم عينة يمكنها أن تمثل شرائح الروائيين اليمنيين المختلفة، كما تمثل النماذج المختارة نفسها تنوعا من حيث الموضوع والمنظور وطرائق البناء والتشكيل الفني.

التعريفات الاصطلاحية والإجرائية

وقد اشتملت الدراسة على بعض المصطلحات النقدية المتعلقة بالمنهجية أو بموضوع البحث؛ منها: السوسيونصية، التناص، اللهجة النسوية، اللهجة الأبوية، صوت المرأة في الرواية، والنموذج العاملي. وتجنبا للإطالة وعدم التكرار ترك الباحث شرحها وتوضيحها لمواطن وجودها في البحث.

منهج الدراسة وإجراءاتها

وقد رغبنا في أن تكون الدراسة سوسيونصية؛ أي من منظور علم اجتماع النص الأدبي، ووجدنا أن نص الرواية اليمنية المعاصرة قد دخل مع الوضع السوسيولغوي في عملية تفاعل على مستوى التناص. واتضح من خلال مقاربة الباحث لذلك التفاعل أن اللغة تشف عن تعارضات إيديولوجية وعن صراع مصالح. وهذا الصراع والتعارضات، بلغة بيير زيما، ما إن يوجدا في مجتمع ما حتى يؤدي بالضرورة إلى وضع لغوي يتصف بالازدواجية واللامبالاة وقد يصل

إلى حد تدهور اللغة، ويتجسد ذلك على المستوى المعجمي والتركيبي والدلالي.[1]

وفي الرواية اليمنية المعاصرة تجسد هذا الوضع في شكل لهجات جماعية متصارعة؛ كعملية امتصاص من جانب النص الروائي للغات الجماعية والخطابات الشفهية أو المكتوبة، التخييلية، النظرية، السياسية أو الدينية...إلخ، فبنية النص الروائي تستوعب وتحول وتنتقد اللهجات الجماعية الإيديولوجية المختلفة. والتحليل التناصي، من منظور سوسيونصي، يلقي الضوء على هذا النص الروائي في سياق حواري؛ أي بالمقارنة مع الأشكال الخطابية التي يتفاعل عن طريق استيعابها وتحويلها ومحاكاتها الساخرة...إلخ، ذلك لأنه، أي التحليل التناصي، يستوجب شرح أبنية النص الدلالية والسردية بدءاً من هذه الأشكال الخطابية.[2]

إذن، فمفهوم التناص، من منظور سوسيونصي، "يستهدف البنى وتفاعلها فيما بينها". على سبيل التمثيل، يرى زيما من خلال تحليله لرواية "رجل بدون صفات" لموزيل، أنها على مستوى التناص تستوعب وتحول وتنتقد اللهجات الجماعية الإيديولوجية المختلفة في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي، كما أنها محاولة لتجسيد خطابات إيديولوجية مختلفة، معظمها يتم نقده وتقديمه بشكل ساخر ؛ مثل المحكيات الساخرة للخطابات الفاشية والكهنوتية والمحافظة والعلمية أو الاشتراكية، حتى الخطاب الفردي "الليبرالي" الذي يستخدم كثيراً نقطة ارتكاز للراوي يقدم أحياناً بشكل ساخر ونقدي.[3] وهذا الاستيعاب التناصي للغات الجماعية والخطابات هو الذي يقوم بتوليد بنية أدبية خاصة؛ أي إنه تقنية تحليلية كما أنه قبل ذلك تقنية إنتاجية.

في ضوء هذا التصور للعملية التناصية؛ فإن غايتنا في هذا البحث مقاربة اللهجة النسوية التي استوعبتها الرواية اليمنية المعاصرة، وكيف عبرت عن مصالحها وعلاقاتها مع غيرها من اللهجات المتصارعة معها والمعادية لها بالضرورة عبر اللغة، ولا سيما اللهجة الأبوية، على اعتبار المجتمع، بلغة بيير زيما، مجموعة جماعات متعادية بشكل ما، يمكن للغاتها/لهجاتها الجماعية أن تدخل في صراع مع بعضها بعضًا، ويرى أنه يجب وضع علاقات وثيقة بين النص والمجتمع مع إظهار المصالح والمشاكل الجماعية على المستوى اللغوي. وهذا التصور هو الذي يسمح في النهاية بوضع الأدبي في ترابط مع الاجتماعي، دون السقوط في الانعكاسية؛ كسوسيولوجيا المضامين، أو التماثل، وكرؤية العالم؛ ولذلك تستعين المقاربات السوسيونصية، وهذا ما سنفعله هنا، ببعض آليات وإجراءات السيموطيقا، كالنموذج العاملي، وذلك بما يسمح- عبر اللغة ومعطياتها- بالتعرف على اللهجة النسوية وعلاقة المرأة بالآخر وصوتها، وصراعاتها مع الآخر الأبوي.

بمعنى آخر، يتحقق هذا التحليل السوسيونصي عبر التناص، بوصفه مقولة اجتماعية، إذا تمت الإفادة من مفاهيم السيميائية، كالنموذج العاملي، والبنى والشفرات الدلالية وأنظمة التصديق؛ لذلك يعرف زيما اللهجة الجماعية بأنها «فهرست معجمي

[1] نجد هذه التصورات السوسيونصية عند بيير زيما مبثوثة في كتابه: النقد الاجتماعي، نحو علم اجتماع للنص الأدبي، تر: عايدة لطفي، ط: 1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، الفصل الرابع: نحو علم اجتماع للنص، ص: 171- 173، 2014- 225.

[2] انظر: نفسه، ص: 204.

[3] انظر: نفسه، ص: 204.

له شفرة، أي مبني حسب قوانين التصاق "أو أنظمة تصديق" جماعي خاصة».[4] ولتوضيح ذلك يضرب زيما مثلا يفسر معنى نظام التصديق فيقول: "حين يتحدث مسيحي مثلا عن الحياة الأبدية فإن كلماته لها معنى، لأنها ترجع إلى التصاق/نظام تصديق معين للتعارضات الأساسية بين الجسد والروح، وبين الفاني وغير الفاني. ونعرف أن بعض الماركسيين وجميع الملحدين يرفضون اعتبار هذه التعارضات على أنها لصيقة؛ لأنهم يتجهون إلى مصداقية وتصنيف مختلفين".[5] ومن هنا نفهم– حسب زيما– أن كل لهجة جماعية تحيل بشكل ضمني أو ظاهر إلى شفرات، ولهجات جماعية منافسة وعدوة.

ما ينبغي أن نقوم به، من منظور سوسيونصي أو علم اجتماع النص الأدبي، بحسب زيما، ونحن نتصور العالم الاجتماعي مجموعة من اللغات الجماعية، هو البدء من الفرضية الأساسية القائلة: بأن اللغات الجماعية تستوعبها وتحولها النصوص الأدبية– بواسطة التناص– التي تلعب فيها هذه اللغات دورا مهما. لأن المنظور الذي يستند إليه علم اجتماع النص لربط النص الأدبي بسياقه الاجتماعي هو «تقديم العالم الاجتماعي كمجموع لغات جماعية تظهر في أشكال مختلفة في البنى الدلالية والسردية للتخييل».[6] ويسعى زيما في هذا المجال إلى الاستفادة من موكاروفسكي الذي يعتقد أن العلاقة بين الأدب والمجتمع لا توصف إلا على المستوى اللغوي، كما يسعى إلى الاستفادة من باختين الذي يرى في اللغة مجموعة من البنى التاريخية المتغيرة، التي ترجع تحولاتها إلى الصراعات الاجتماعية والتجديدات التي تأتي بها، ويعتقد زيما أن منهج باختين الذي قدمه في كتابه "الماركسية وفلسفة اللغة" نقطة بداية ممكنة لنظرية في لغويات الخطاب تتجاوز لغويات الجملة، ولا يغفل زيما وهو بصدد الحديث عن اللغات الجماعية فكرة عالم اللغة الروسي "مار" القائلة بوجود لغة لكل طبقة اجتماعية.[7]

وخلاصة القول؛ إن السوسيونصية أفادت في مقارباتها للنصوص من الدراسات الاجتماعية والسيميائية والنصية، وحتى الدراسات النفسية للأدب.

1- اللهجة النسوية على المستوى المعجمي:

على المستوى المعجمي، ألح ميشيل بيشو كثيرا على الصفة الاجتماعية للكلمات: "كل الصراع الطبقي يمكن أن يتلخص في الصراع من أجل كلمة، ضد كلمة أخرى".[8] ويرى زيما أن كلام ميشيل بيشو فيه مبالغة، ولكنها مبالغة نافعة، لأنها تبين إلى أي مدى يمكن للوحدات المعجمية أن تحمل خاتم المصالح، أي الصراعات الاجتماعية.[9] وبحسب زيما، تتجلى اللهجة الجماعية «بكلمات أَعْراضِيَّة ذات دلالة خاصة (مفردها عَرَض)، تسمح على المستوى التجريبي بمعرفة سوسيولكتة "لهجة جماعية"؛ [كما وجدها في الروايات التي حللها] ليبرالية، أو مسيحية، أو ماركسية،... وهكذا، فكلمات مثل: فرد– حرية– استقلالية– مسؤولية–...، تميز سوسيولكتة "لهجة جماعية" ليبرالية أو ليبرالية جديدة، على ما تظهر في الصحافة والبيانات السياسية، أو في العلوم الاجتماعية».[10] ويذهب نبيل أيوب إلى أن زيما

[4] انظر: بيير زيما، مرجع سابق، ص: 196.
[5] انظر: نفسه، ص: 196
[6] انظر: نفسه، ص: 183
[7] انظر نفسه، ص: 188.
[8] انظر: نفسه، ص: 177.
[9] انظر: نفسه، ص: 177.
[10] زيما، نقلا عن نبيل أيوب، نص القارئ المختلف، ص: 100، 101.

«يلفت النظر إلى أن بعض المجموعات الاجتماعية والسياسية، كما بعض الحركات الاشتراكية والجماعات المسيحية والنقابات وممثلي أرباب العمل، يستخدمون مفردات لغوية ومركبات جملية خاصة لشرح وجهات نظرهم والدفاع عنها. كما يلفت زيما النظر إلى أن الفرد يمكن أن ينتمي إلى مجموعات مختلفة، الأمر الذي يجعله يستخدم مفردات، وتاليا سوسيو لكتات "لهجات جماعية" متخالفة، طبقا لموقعه والتزامه المختلف».[11]

والمقصود مما سبق أن اللهجة الجماعية لغة إيديولوجية تعبر عن مصالح جماعية خاصة على المستوى المعجمي. وفي ضوء هذا التصور وجدنا أن مفردات مفردات وعبارات على شاكلة (العنف الذكوري- ذكور مكبوتين- نظراتهم الشبقة- التحرش البصري الذكوري المفرط- شوارعنا المكبوتة- ولادة المجتمع المدني- مناضلة طبقية- ذكور العرب- ...إلخ)، تجعلنا أمام خطاب نسوي ولهجة نسوية[12] استوعبتها الرواية اليمنية المعاصرة على مستوى التناص، وتجسدت عبر لغة النص في مستواها المعجمي. أي عبر هذا الحقل الدلالي الذي جسدته مثل هذه المفردات، وهي هنا على سبيل التمثيل لا الحصر. ولكن رغم الإيحاءات الدلالية بالبعد النسوي لهذه المفردات أو الوحدات المعجمية إلا أن هذه اللهجة الجماعية تتجسد أكثر على المستوى التركيبي والسردي.

2- اللهجة النسوية على المستوى التركيبي:

على المستوى التركيبي، هيمن خطاب النسوية على ملفوظات شخصيات الرواية النسائية؛ مثل: عالية، سماء، صبحية، حورية، حسناء، كما تجلى على لسان الرواة؛ سواء أكان الراوي خارجيا، أي ليس شخصية مشاركة في أحداثها وممثلا أو فاعلا من فواعلها، بلغة جريماس، مثل راوي قهوة أمريكية، أم كان راويا داخليا مشاركا في أحداث الرواية وممثلا من

[11] نبيل أيوب، نص القارئ المختلف، ص: 101.

[12] النِسْوية (بالإنجليزية: Feminism) هي مجموعة من الحركات الاجتماعية والسياسية والأيديولوجيات التي تهدف إلى تعريف وتأسيس المساواة السياسية والاقتصادية والشخصية والاجتماعية بين الجنسين. تتبنى النسوية موقف أن المجتمعات تعطي الأولوية للذكور، وأن النساء يعاملن بشكلٍ غير عادل في هذه المجتمعات. وقد عرفتها سارة جامبل في كتابها (النسوية وما بعد النسوية) بأنها: حركة سعت إلى تغيير المواقف من المرأة كامرأة، قبل تغيير الظروف القائمة، وما تتعرض له النساء من إجحاف كمواطنات على المستويات القانونية والحقوقية في العمل والعلم، والتشارك في السلطة السياسية والمدنية. وتوجد العديد من النظريات والاتجاهات الفكرية؛ كالنسوية الليبرالية، والنسوية الماركسية، والنسوية الراديكالية، وغيرها من الاتجاهات، وفي المجتمعات العربية والإسلامية ظهر إلى جانب هذه الاتجاهات اتجاه النسوية الإسلامية. وينقسم تاريخ النسوية الغربية الحديثة إلى أربع «موجات». تشمل الموجة الأولى حركة المطالبة بحق النساء في التصويت في القرن الـ 19 وبدايات القرن الـ 20. وبدأت الموجة الثانية - والمعروفة أيضا باسم حركة تحرير المرأة - في ستينات القرن الـ 20 وطالبت بالمساواة القضائية والاجتماعية للمرأة. وحوالي عام 1992، ظهرت موجة ثالثة تميزت بتركيزها على التفرد والتنوع. والموجة الرابعة بدأت منذ حوالي عام 2012 استخدمت وسائل التواصل الاجتماعي لمكافحة التحرش الجنسي والعنف ضد المرأة وثقافة الاغتصاب، واشتهرت بحركة «أنا أيضا» («Me too»).

والنسوية التي ظهرت في الغرب في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، جاءت ردة فعل على نظام أبوي رسخ للثقافات السائدة التي حملت صورة سلبية عن المرأة، الأمر الذي انعكس في واقع اجتماعي محتقن بالتمييز ضد المرأة والتقليل من شأنها وإهدار حقوقها، واقع فاقم منه النظام الرأسمالي وقسوته الاقتصادية. وبخصوص النسوية الإسلامية فقد ظهرت في بداية تسعينيات القرن العشرين في أفريقيا الجنوبية كإحدى الأسس الفلسفية والسياسية لحركة الإسلام التقدمي المناهض لنظام الفصل العنصري. ورغم ظهور المصطلح في التسعينيات، فإنه ليس جديدا في مضمونه ودلالته. فقد شهدت المجتمعات الإسلامية وعيا وحراكا نسويا منذ القرن التاسع عشر، قادته رائدات من أمثال الكاتبة المصرية عائشة تيمور (1840-1902) التي اتسم خطابها بنسوية ذات طابع إسلامي، والتي تحدثت في كتابها "مرآة التأمل في الأمور" عن أن النظام الإسلامي، وخلاصة ما تذهب إليه أن الإسلام لا يشجع على التمييز، بل إنه قائم على العدل والإنصاف.

وهناك أسباب عديدة لظهور النسوية الإسلامية، منها ما يشبه أسباب ظهور الحركة النسوية في الغرب؛ كسيادة الأنظمة الأبوية وتحجيم دور المرأة في المجتمع، وما تتعرض له المرأة من قهر.

(استقى الباحث هذه المعلومات عن النسوية بتصرف من عدة مراجع منها: كتاب النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، ترجمة أحمد الشامي، 2002م، ومعجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عمر، 2008م)، وبحث أكاديمي بعنوان: تاريخ النسوية وتحولاتها عبر الزمن، مصر أنموذجا، هاني جرس، المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية، إبريل 2020م، ومقال: النسوية، ما معنى أن تنطلق من منظور إسلامي؟، سمية نصر، بي بي سي نيوز، عربي، 11/ 1/ 2022م.

ممثليها؛ كَسَماء في بلاد بلا سماء، وصبحية وحورية في صنعائي.

فعلى لسان عالية، مثلا، يجد الباحث في غير موضع في رواية قهوة أمريكية، مثل هذه الملفوظات: "إن المرأة في خطر حتى من المثقفين والحزبيين، يريدون أن تفتح فخذيها لا أن تفتح عقلها"– "كانت تحس عيون المتظاهرين تتحرش بها"– "قالت إن أقصى ما تسعى إليه المرأة اليمنية ليس نيل حريتها بل الجلوس على كراسي الوظائف الدوارة في مؤسسات الدولة"– "قمع المسيرات السلمية تجعل البلاد تفشل في خطواتها تجاه الديمقراطية"– إن الريف تقدمي في نظرته إلى المرأة ...،[13] وعلى لسان سماء في بلاد بلا سماء، نجد مثل هذه الملفوظات: "إنني أعتبر هذا التحديق المكثف القادم من كافة الاتجاهات، نوعا من العنف الذكوري المؤذي"، "في البيت أعاني من تلصص شقيقي الأكبر على دفتر يومياتي"، "والدي صار خصما لي"، "حياتي معاناة"، "أنا تحت المراقبة ليل نهار"، "لي الحق في حياة سعيدة لا يسممها أب بشكوكه وأوهامه"، "أنا محاصرة"، "المجتمع يحاصرني"، "اختزلوا وجودي الإنساني في مثلث صغير نجس واهملوا الباقي"، "هذا التحرش البصري الذكوري المفرط الشدة يغيظني"، "الذكور في بلادي علمانيون على طريقتهم الخاصة، فهم يفصلون المسجد عن واقع حياتهم"، ...إلخ.[14]

في هذه الملفوظات الجملية التركيبية، وكما هو الحال على مستوى المفردة المعجمية، تتجلى للباحث ثيمة الجنس، وهي ثيمة ذات بعدين دلاليين، الأول يكشف عن مجتمع ذكوري، جعل المرأة محاصرة بين سندان التحرش ومطرقة الرقابة الأبوية، والثاني يكشف عن جرأة نسوية دفعت المرأة إلى مناقشة ثيمة الجنس دون تحفظ أو مواربة، الأمر الذي جعل هذه الثيمة تبدو في الرواية العربية بصفة عامة وفي الرواية اليمنية بصفة خاصة، تعبيرا عن رغبة نسوية في التحرر، ويظهر هذا جليا في خطاب المرأة، ومن منظور النسوية، فإن المرأة تمتلك جسدها وهي حرة في التصرف فيه. من حقها أن تتحدث عنه تماما كما يتحدث الرجل عن جسده، دون حياء أو خوف. لا من الرجل ولا من العائلة التي تجسد قيم المجتمع. وأحيانا تذهب بعيدا فتجرؤ على أن تتحدث بلا مواربة أو التواء عن اللذة الجنسية، بل عن أمور أخرى ما كان باستطاعتها في السابق حتى الإشارة إليها.[15]

ولا شك أن الخطاب النسوي قد وظف الجنس بصورة تعكس مدى تأزم العلاقة بين الرجل والمرأة في وطننا العربي ومجتمعنا اليمني بصفة خاصة، لذلك فإنه «رغم تنوع أسباب أزمتنا المعاصرة نكاد نجزم أن أزمة الجنس تعد من أهم أسباب ما نعانيه من عنف وانحرافات في حياتنا العربية، لما لها من تأثير كبير على شخصية الإنسان العربي، وعلى أدائه ووظيفته في الحياة، ومن ثم على المجتمع العربي عامة؛ لأن المجتمع في النهاية ليس سوى رجال ونساء... والعلاقة المأزومة بينهما لن تُنتِجَ إلا مجتمعا مأزوما تعشش مختلف العقد في أسره وأبنائه. وبما أن الخطاب النسوي في معظمه يحمل الرجل مسؤولية الأزمة، فقد رسمت للرجل صورة سلبية قاتمة مهما كان عمره أو مستواه الثقافي أو توجهه الإيديولوجي يتساوى في ذلك كل الرجال؛ صغارا كانوا أم كبارا، مثقفين أم

[13] انظر قهوة أمريكية ص: 13، 20، 24، 25، 27، 107.
[14] بلاد بلا سماء، ص: 7- 15.
[15] الحبيب السالمي (روائي تونسي)، الجنس في الرواية، ضفة ثالثة، 2017م، "بتصرف".

أميين، يساريين أم يمينيين».[16] وهذا ما يبدو في طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في الرواية اليمنية المعاصرة عبر شخوصها وممثليها، فنجد أن شخصية "عارف"، وهو مثقف يساري، لا ينفك يتحدث عن رغبته الجنسية الشديدة في توأمه النضالي "عالية"، ونجد شخصية "حميد" في رواية صنعائي، وهو المثقف والرجل الوطني، يعيش أزمة جنسية مع عشيقاته، رغم أنه متزوج، والدكتور عقلان، وهو الرجل الأكاديمي، مشكلته مع طلابه إناثا وذكورا جنسية، وعلي ابن الجيران، رغم صغر سنه، لا يفكر في سماء تفكير العاشق الذي تربطه بمعشوقته علاقة روحية، بل لا ينفك يفكر فيها جنسيا ويتخيلها في كل ممارساته لعادته السرية، بل صارت هي دافعه الأول لذلك، والحاج سلطان، الذي هو بعمر والد سماء، يرغب في أن ينالها يوما، والرجل السبعيني، وهو يخرج من المسجد، يتمنى أن يعضها بأسنانه النخرة، والعامل، برغم ظروفه الصعبة وانشغاله بالعمل الشاق، يصرخ ارحميني، وسائق الباص، في لحظة عابرة، يمسك يدها ويرتعش كأن كهرباء صعقته، وصبحية ينظر إليها "الفندم" في مأدبة العشاء نظرة ليست بريئة، حسب قولها، هذا وهو صائم، ويمثل أعلى هرم للسلطة. فلم تدع الرواية شريحة من المجتمع، على اختلاف أعمارها وانتماءاتها، ومكانتها، ومستواها المعرفي، إلا وعلاقتها بالمرأة شبقية ومأزومة جنسيا.

والسؤال، هل علاقة المرأة من منظور نسوي متوترة مع الآخر/المجتمع على المستوى الجنسي فقط؟ والجواب: لا؛ لأن قضايا المرأة التي استوعبتها الرواية على مستوى أوسع من أن تكون محصورة في الجنس، وإذا عدنا قليلا إلى الملفوظات التي سردناها آنفا على لسانها، فسنجد أنها تعيش صراعات مختلفة، فعلاقتها متوترة مع الرجل الأب والأخ والزوج والجار والأستاذ الجامعي والزميل ورجل السلطة والشيخ والقبيلة، إنها صراعات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية وفكرية ودينية. فالمرأة عليها، من منظورها النسوي، أن تواجه تحديات كبيرة بثبات؛ لكي تنتزع حقها في حياة كريمة تنعم فيها بالسلام والحرية والاستقلالية وعدم التبعية الأبوية للرجل، أو الاستغلال، أو التحرش، فنجد خطابها ليس متصالحا مع خطاب السلطة أو المعارضة، أو خطاب القبيلة أو الخطاب الديني، لذلك قررت عالية على سبيل التمثيل أن تشارك في المظاهرات، وشاركت مع نساء من مختلف الدول في سفينة ابن خلدون التي أبحرت نحو العراق من أجل السلام، وانتقدت خطاب المعارضة واعتبرتها عاجزة، ولا تصلح حتى للمطالبة بعلبة نيدو صغيرة للأطفال،[17] إلى درجة أن خطابها بدا غير متصالح حتى مع المرأة نفسها، لذلك نجد عالية قد عنفت النساء اليمنيات التي لم يشاركن في المظاهرات، واعتبرت ذلك تصالحا وتواطؤا غير مقبول من المرأة مع السلطة والواقع؛ لذلك جاء الراوي واصفا ذلك بقوله: "تسخر من زميلاتها، الموظفات الحكوميات، اللاتي يتبجحن بالخصم على الموظفين الصغار، من الرجال الذين يعملون تحت إداراتهن. تقول: مسكينة المرأة في بلادي، أكثر ما تستطيعه إذا كانت مسؤولة هو دفع الموظف البسيط لشتم الدنيا والله، لكثرة ما يخصمن من راتبه".[18] وقالت إن أقصى ما تسعى إليه المرأة اليمنية، ليس نيل حريتها، بل الجلوس على كراسي الوظائف الدوارة، في

[16] الكبير الداديسي، أزمة الجنس في الرواية العربية، نون النسوة، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، 2017م، ص: 266 - 267.

[17] انظر: نفسه، ص: 29.

[18] قهوة أمريكية، ص: 13.

مؤسسات الدولة.[19] وانتقدت خطاب فتحية النسوي زميلتها في المركز الثقافي، واعتبرته خطابا أملي عليها وفرض فرضا؛ فقالت لها: "هل دفعوك لقول ذلك؟ أم تسلمت البحث جاهزا منهم؟".[20]

وحاولت سماء بصعوبة أن تصمد أمام ضغط الأسرة والشارع والجامعة وتنتزع حقها في مواصلة تعليمها، وانتهى الأمر بها مختفية ومخطوفة، وحاولت صبحية أن تفتح مرسمها في قلب صنعاء القديمة وتزاحم الرجل في تسويق منجزها الفني، "يثير بعض المارة على المرسم فضولي من شدة ذكائهم وإحساسهم باللون...، وبعضهم الآخر يثير حنقي بغبائه. صرت أكثر خبرة يوما عن يوم بنوع الزائرين وغرضهم الجاد أو التهكمي الاستعراضي على مرسم تديره امرأة يمنية في قلب مدينة صنعاء القديمة، تجاهر بألوانها الصارخة لتذيبها في نسيج المدينة البشري والحجري معا. أدرك ذلك وأتحمله، وأمنحهم وقتا لاستيعاب الفكرة، ومن ثم قبولها".[21] كما أنها قررت أن تسير مع الرجل غير القريب في شوارع المدينة مرتدية ألوانها الزاهية، كاسرة بذلك عرف المجتمع وعاداته المتجذرة، إلا أنها تضطر إلى ارتداء الأسود، "عانيت من سيطرة ذلك اللون على النساء في بداية وجودي في صنعاء. أرتدي ملابسي الملونة كعهدي في القاهرة. كنت أبدو كسائحة أو كزائرة عربية او غربية. لم اشعر باحترام من حولي لما أرتديه، بل تلصص دائم...، الاختلاف يحتاج إلى مواجهة وتحد وقوة وصبر. لم يكن لي طاقة لكل هذا. ارتديت العباءة السوداء لأبدو منتمية للمجتمع، لا مختلفة عنه".[22] وهي بذلك تقر بأن برنامجها السردي فشل أو كاد أن يفشل، ولم تستطع بلغة جريماس الاتصال بموضوعها، بل تحولت من ذات فاعلة تسعى نحو موضوع في نموذج عاملي نسوي، إلى موضوع في نموذج عاملي أبوي، ويعزز ذلك فشلها في فهم حميد، "جرحنى كذب حميد وجرحني كلامه السيء عني وعن علاقتنا. جرحني استمراره في الكذب، ...، ربما لأني لا أعرف ماذا يريد حميد مني، وماذا يريد من المدينة التي يعشقها! كلانا خابت توقعاته".[23] ثم تقول: "احتجت فترة كمون لاستيعاب الجديد في حياتي، لاستيعاب ماض لم أعش فيه، وحاضر يحاصرني بماضيه. حميد ماض وحاضر، وغمدان ماض وحاضر، وابي ماض وحاضر... كيف أواصل الحياة؟! بعد شوق الحياة في وطن تغربت عنه كثيرا، جاءت الحقيقة مرة، والاستمرار أكثر مرارة!"،[24] كما أنها لم تتصالح مع خطاب السلطة، فوجهت نقدا لاذعا ليوم النصر 7/7، ولدعوة الفندم وطريقة تعامله مع ضيوف مأدبته، وللقصر، ولم تتصالح مع القبيلة، واعتبرتها أحد أهم أسباب وأد مشروع اليمن الحديث، متماهية مع الخطاب اليساري الناصري الذي تبدي تماهيا وتعاطفا كبيرا معه، وكما أسلفنا أبدت عدم تصالح حتى مع نفسها أحيانا، فانتقدت صبحية ضعفها أمام حميد وأمام تقاليد المجتمع، وانتقدت سماء نظرتها المثالية للحياة التي كانت تؤمن بها، وعالية في تداعياتها ومونولوجياتها الداخلية كانت تنتقد بعض تصوراتها ومواقفها.

[19] انظر: نفسه، ص: 20.
[20] نفسه، ص: 29.
[21] صنعائي، ص: 28.
[22] نفسه، ص: 100.
[23] نفسه، ص: 287.
[24] نفسه، ص: 238.

وهنا بعد أن تبين للباحث أن المرأة من منظور نسوي تخوض صراعا مع الآخر المجتمع من مختلف جوانب الحياة، يجد نفسه أمام سؤال وجيه: هل خاضت المرأة هذا الصراع من منظور واحد متسق؟ والواقع أن الخطاب النسوي كما استوعبته لغة النصوص لم يكن منسجما، بل بدا متعارضا مع بعضه، الأمر الذي يجعله يتسم بالصراع.

والنسوية عالميا ليست ذات توجه واحد، بل هناك خطاب نسوي ليبرالي، وليبرالي جديد، وراديكالي، وخطاب نسوي إسلامي، وغيره من الخطابات النسوية المختلفة باختلاف المجتمعات والبيئات، كما يجد الباحث أن الخطاب النسوي تطور من المطالبة بالمساواة مع الرجل في الحقوق، كما هو خطاب النسوية في موجتها الأولى إلى تحرر المرأة واستقلاليتها، وصولا إلى ما وصل إليه الخطاب النسوي اليوم.[25] لذلك، فإننا نجد الرواية عبر لغتها قد استوعبت هذا الاختلاف ومثلته على مستوى التناص، فنجد أن المرأة اليمنية في مجتمع النص قد نظرت إلى طبيعة علاقتها بالآخر/المجتمع من منظورات مختلفة؛ فسماء تبحث عن حقوقها في أن تعيش حياة كريمة، وتنال حقها في التعليم، وهذا يقترب من وجهة نظر الموجة الأولى، ونجد صبحية وعالية تنظران إلى أن علاقتهما بالمجتمع يجب أن تكون أكثر انفتاحا، لذلك سماء مثلا ظلت محافظة على الملابس التقليدية، البالطو الأسود، النقاب، حتى أنها تقدم نصيحة للفتاة اليمنية ألا ترتدي الحقيبة البيضاء، رغم أنها في جوهرها تنويرية، ولكن صبحية تجاوزت ذلك فقررت أن تكشف عن وجهها وأن ترتدي الألوان ولم تمانع من السير مع حميد وتلبية دعوته إلى تناول القهوة والسير معه في شوارع المدينة وسمحت له باصطحابها إلى حمام البخار وانتظارها حتى خرجت من الحمام، وتلبية دعوته لها إلى تناول الغداء بمفردهما في بيته، وعالية كذلك سافرت وحدها في السفينة، وشاركت في المظاهرات وسارت مع عارف في شوارع المدينة ونزعت حجابها أمامه، وحضرت حفلات المركز الثقافي وسهرة الغناء والرقص في بيت معلمتها الأجنبية. الأمر الذي يمكن أن نجعل عالية وصبحية أقرب إلى مبادئ الموجة الثانية، وهي النسوية الليبرالية واليسارية. ولكن إذا وقفنا على خطاب فتحية النسوي فسنجد أنها مثلت المرأة في مؤتمر نسوي في باريس ولكن من منظور السلطة، لذلك لم يكن الراوي متعاطفا مع خطابها، كونه حاول أن يقدم خطابها بمقدمة تهكمية ساخرة. «كانت فتحية تحكي عن مواقفها المحرجة، عندما سافرت لأول مرة إلى باريس، لتشارك في مؤتمر عالمي عن نضال المرأة من أجل نيل حقوقها. قلت للنساء جميعهن فرنسيات وأمريكيات ومكسيكيات وإيطاليات وبريطانيات ومن جنسيات كثيرة إن المرأة في بلادنا تتمتع بكافة الحقوق، عدا ما لا ترغب في نيله.

وذكرت في بحثي أن المرأة اليمنية تعي المسافة بينها وبين الرجل، وأنها متفهمة لطبيعة المجتمع الذي تعيش فيه، لذلك فهي لا تطمح إلى تحقيق كل شيء. ذكرت لهم إحصائيات وأرقاما، والفارق في الوضع الذي كانت عليه المرأة في عهد الإمامة والآن، في ظل منجزات ثورتي 26سبتمبر و14أكتوبر المجيدتين».[26] وهو منظور لموقع المرأة في المجتمع

[25] انظر كتاب سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، تر: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.

26 قهوة أمريكية، ص: 28.

يقترب من خطاب النسوية الإسلامية، ويتجسد اختلاف وجهات النظر من منظور نسوي من خلال تعليقات النساء الحاضرات مع فتحية، فبعد أن انتهت من كلامها صاحت عائشة من شدة الإعجاب: «والله إنك باهرة". بينما عالية تساءلت بسخرية: "هل دفعوك لقول ذلك، أم تسلمت البحث جاهزا منهم؟!».[27] كما يتجسد كذلك في رد فعل فتحية، إذ "ثارت فتحية وحاولت الرد بشتيمة ضاعت في الطريق".[28] أو حين انتقدت عالية غياب المرأة اليمنية عن المظاهرة وأن ما تفكر فيه هو الجلوس على كراسي الوظائف الدوارة في مؤسسات الدولة، فترد عليها زميلتها عائشة بقولها: "من يوم عرفتن لحية ماركس النجسة وأنتن ترين أنفسكن فوق الناس...".[29]

مما سبق، يتجلى للباحث أن اللهجة النسوية خطاب تقتضي مصالحه الجماعية أن يتصارع بالضرورة مع مصالح وخطابات لهجات أخرى، كما تجلى لنا أن اللهجة الجماعية ليست كلية متسقة ولا ينبغي أن يكون خطابها متسقا، بل تتعارض أصوات فواعله فيما بينها، ومن هنا كما سنعرف لاحقا، نجد أن هناك فرقا بين الصوت واللهجة الجماعية، إذ إن اللهجة الجماعية الواحدة قد يكون لها أكثر من صوت وأكثر من موقف ورؤية للعالم، وهذا يدحض بالدليل ما ذهب إليه جولدمان والبنيوية التكوينية بأن النص يمكن اختزاله في بنية دالة أحادية تعبر عن رؤية للعالم، بل النص متعدد الدلالات ومتعدد الرؤى ووجهات النظر بتعدد شخوصه وممثليه، مهما كانوا منتمين إلى لهجة جماعية واحدة، ويكون الأمر أكثر جلاء ووضوحا حين نكون أمام لهجات جماعية متعددة وليست لهجة واحدة.

والوقوف على خطاب اللهجة النسوية وأصواتها، يستدعي بالضرورة اللهجة الأبوية،[30] لأن اللهجة النسوية وهي ترسم برنامجها السردي تجد الخطاب الأبوي وممثليه عاملا معاكسا يعمل على إفشال سعيها في اتصالها بموضوعها أو موضوعاتها، وهو حرية المرأة واستقلالها ونيل حقوقها ومساواتها بالرجل، أو أي موضوع بحسب التوجه النسوي، فكما سبق وعرفنا في مقاربة اللهجة النسوية أنها نسويات، أي توجهات وتيارات مختلفة، لها خطاباتها حسب توجهاتها، ولكل خطاب برنامجه السردي وموضوعه الذي يسعى إلى تحقيقه.

3- اللهجة الأبوية.

ولأن غاية الدراسة هنا مقاربة استيعاب الرواية اليمنية للهجة الأبوية وكيف تفاعلت معها على مستوى التناص فستحاول أن تكشف عن تجلياتها على المستوى المعجمي والتركيبي.

ولأن الباحث يقول بأن خطاب اللهجة النسوية يستدعي بالضرورة الخطاب الأبوي، فعلى المستوى المعجمي أو التركيبي لن يجد على لسان الرجل مفردات أو عبارات تصفه بالأبوية، وإنما سيجدها على لسان المرأة التي تنظر إليه من منظور أنه ذكوري أبوي، لذلك جرت على لسانها كلمات وعبارات

27 نفسه: ص: 29.
28 نفسه، ص: 29.
29 نفسه، ص: 20.
30 بشيء من الإيجاز يمكننا القول إن الخطاب الأبوي ارتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهوم اختلاف الأدوار بين الجنسين، في ضوء معايير اجتماعية ترى الرجل/الأب شخصية رئيسية ومركزية في التنظيم الاجتماعي وصاحب السلطة على النساء والأطفال والممتلكات، والواقع أن معظم المجتمعات المعاصرة مجتمعات أبوية في الممارسة، حتى تلك التي تبدي تعاطفا كبيرا وتأييدا للخطاب النسوي، وكلما في الأمر أن تلك السلطة تتفاوت في هيمنتها من مجتمع لآخر. والأبوية بالعربية تقابل البطريركية بالإنجليزية (Patriarchy)، وهي كلمة يونانية الأصل.

وملفوظات تشي عن ذكوريته وأبويته، هي نفسها المفردات والعبارات والملفوظات التي جسدت الخطاب النسوي، فهي مزدوجة الدلالة، أي أنها حين تجسد لنا خطابا نسويا فهي تقتضي بالضرورة وجود خطاب أبوي ولهجة أبوية، من ذلك على سبيل التمثيل: " العنف الذكوري– ذكور مكبوتين– نظراتهم الشبقة– التحرش البصري الذكوري المفرط– شوارعنا المكبوتة– ذكور العرب– سلطة الأب– تلصص الأخ...إلخ"، على مستوى المفردات والوحدات المعجمية.

وعلى المستوى التركيبي تتجسد الأبوية في ملفوظات نسوية سبق أن ذكرناها في سياق حديثنا عن اللهجة النسوية على المستوى التركيبي، كما تتجسد في ملفوظات يقولها الرجل/الأب وتصرفات يقوم بها، وهي ملفوظات وتصرفات لا يراها أنها أبوية أو ذكورية، ولكنها تفسر بأنها كذلك، من ذلك على سبيل التمثيل هذا المونولوج الداخلي والتداعي من حميد: «في أعماقي تمنيت لو كان ثلاثتهم ذكورا، البنات هَمٌّ كبيرٌ، لذلك تخلَّصت منهما وزوجتهما في سن مبكرة لأول خاطبين طرقا بابي، لم أكترث برجاء الصغرى وهي تقول إنها تريد إنهاء الثانوية العامة، ومن ثم الزواج، كان العريس الغني ابن شيخ، فرصة لن تعوضها إياها شهادة الثانوية العامة التي طلبت إنهاء دراستها».[31] في هذه الفقرة من رواية صنعائي يتجسد الخطاب الأبوي في سردية حميد، الذي أفصح عن منظوره الأبوي والذكوري؛ فقد تمنى أن يكون أبناؤه الثلاثة كلهم ذكورا، ولذلك تخلص من ابنتيه عند أول فرصة، وزوجهما لأول خطيبين طرقا بابه دون اكتراث برغبة ابنته الصغرى في إكمال دراستها، وكونه زوجها قبل إكمال الثانوية، فهذا إيحاء عبر اللغة بقضية من قضايا المرأة نتيجة الأبوية تتمثل من منظور النسوية في الزواج المبكر، وهو ظاهرة في المجتمعات التقليدية. وتتمثل الأبوية في خطابه كذلك في تمييزه للابن الذكر، فقد ترك له فرصة تقرير مصيره واختيار أسلوب الحياة التي يريدها، وحرم البنت من هذا الامتياز، لذلك لم يفرض عليه أن يصبح ضابطا مثله وهي رغبته، أي الأب، وإنما تركه ليختار الهجرة والاغتراب وهي رغبة عمه: «مزاج ابني كان مختلفا، فضل الخروج، مثل عمه، وهاجر إلى كندا بحثا عن حياة كريمة ومستورة، ومستقبل يحلم به لنفسه ولأولاده، كما قال وهو يودعني».[32]

كما وجد الباحث الخطاب الأبوي متجسدا في عبارة شائعة الاستخدام في المجتمع اليمني، والقبلي منه على وجه التحديد، هي عبارة "ابن مرملة"، يوجهها الرجال في صورة شتيمة لمن تربى تحت كنف أمه دون أن يحظى برعاية أبيه وتربيته، وهو خطاب فيه انتقاص من قدر المرأة وقدرتها على تربية رجل. ويذهب الخطاب النسوي في تفسير مثل هذا المنظور الذكوري إلى ربطه بالخطاب الديني، بينما هناك من يربطه بخطاب القبيلة الذي يتعارض في كثير من تصوراته ونظرته للمرأة مع الخطاب الديني وموقفه من المرأة، وقد يرجع السبب إلى الإيديولوجية التي تفرض المفاصلة في الخطاب وردود الأفعال، فتفقد الخطابات الإيديولوجية موضوعيتها وحياديتها، لأنها لا تقبل أن تضع خطابها موضع المساءلة والتشكيك. ولذلك يذهب الباحث إلى تسجيل ملاحظة على الخطاب النسوي، هو الاستدعاء لخطابات نسوية وإسقاطها

[31] صنعائي، ص: 70- 71.

[32] السابق، ص: 71

على مجتمعنا اليمني وحتى العربي دون مراعاة لخصوصيات الخطابات المعارضة لخطابها وسياقها الاجتماعي والثقافي. فالنسوية الغربية كان الخطاب الديني هو الخطاب المعارض لخطابها بشكل رئيسي، بينما في مجتمعنا يعتبر خطاب القبيلة والعادات والتقاليد هو الخطاب المعارض بشكل رئيسي لخطاب المرأة، وهذا الخطاب المعارض للمرأة وحقوقها يستقوي بالعادات والتقاليد والسلطة وبالدين كما يتصوره ويؤوله. وهذا الاستدعاء والإسقاط الذي نجده في بعض تجليات الخطاب النسوي اليمني والعربي يعيق التأسيس الطبيعي لخطاب نسوي صادر عن مشكلات وقضايا اجتماعية وثقافية واقعية تعيشها المرأة اليمنية.

ويتجسد الخطاب الأبوي في الرواية في شواهد كثيرة، فأبو سماء يراقبها وإخوتها يتلصصون عليها، ودعوة رئاسة الجمهورية التي استلمتها صبحية مكتوب فيها أبناء المرحوم وليس أبناء وبنات المرحوم، من منظور صبحية، رغم أنها الموجودة وأخوها يقيم في مصر. وعالية ترى أن الرجال يريدون منها أن تفتح رجليها لا أن تفتح عقلها، ...إلخ. وكلها ملفوظات وتصورات تؤكد من منظور نسوي أن الرجل ينظر إلى المرأة بأنها تابعة له، وتحتاج إلى حمايته، وأنها غير قادرة على الاستقلال بنفسها وإدارة شؤون حياتها دون أن يحميها الرجل ويفكر فيها، بل ويفكر لها.

4- النسوية والأبوية على المستوى السردي:

أ- النموذج العاملي، وصراع البرامج السردية:

يستطيع الباحث القول إنه آنفا استطاع مقاربة تجليات اللهجتين النسوية والأبوية على المستوى المعجمي والتركيبي. وعلى المستوى السردي سيحاول الوقوف على طبيعة الصراع بين هاتين اللهجتين نتيجة تعارض مصالحهما، وكيف استوعبها التناص في الرواية وجسدها على شكل صراعات لغوية على المستوى السردي، وهي بطبيعتها صراعات بين برنامجين سرديين مختلفين. ولذلك سنعتمد بحسب زيما على معطيات سيميائية، وهذه المعطيات التي تهمنا هنا هي جهود غريماس التي بسطت وبلورت نموذج بروب المعقد الخاص بالحكايات الغرائبية، واختزل الأدوار السبعة عند بروب[33] إلى ثلاثة أنماط من التراكيب السردية، هي: التراكيب الإنجازية "مهمات وصراعات"، والتراكيب التعاقدية "إبرام العقود أو تجاوزها"، وتراكيب الفصل "الرحيل والعودة"، وأعلن أن ثلاثة تقابلات ثنائية أساسية تكمن وراء كل مواضيع السرد والأفعال والشخصيات، وهي ما يسميها بالمشاركين: المسند إليه # المفعول به، المرسل # المتلقي، المساعد # المعاكس. ويعتبر "جريماس" أن البطل مسند إليه ومتلق في آن، فالمسند إليه هو الذي يسعى، والمفعول به هو موضوع السعي، والمتلقي هو الذي يستلمه، والمساعد يساند سعي المسند إليه، أي سعي البطل، والمعاكس يعيق البطل. وهكذا انطلق

[33] من المعروف أن بروب في كتابه (مورفولوجيا القصة) قد أحصى الوظائف الأساسية التي وجدها في مائة من الحكايات الغرائبية الروسية، ووجدها إحدى وثلاثين وظيفة، هذه الوظائف تؤديها شخصيات بأسماء وصفات مختلفة، إلا أن بروب قد لاحظ أن هذه الشخصيات المختلفة، تشغل الوظائف نفسها في الحكايات. وهكذا تولد عنده مفهوم الدور، فالأدوار هي الشخصيات العينية المجردة التي تشغل الوظائف، وبهذا تمكن بروب من إنشاء مخطط كلي مجرد اختزل الوظائف الإحدى والثلاثين في سبع دوائر لا تتغير، في كل دائرة منها عدد محدد من الفعال التي تشكل دورا مستقلا، هي:

- المعتدي أو المضاد أو المنتهك (يسيء إلى البطل، يلاحقه، ...)
- الواهب (يضع الغرض السحري بتصرف البطل، يخضعه للامتحان، ...)
- المساعد (يساعد البطل، يعوضه من النقص، ...).
- الأميرة ووالدها (يوكلان إلى البطل القيام بمهمات صعبة، يكشفان البطل المزيف، يتعرفان البطل الحقيقي، يعاقبان، يكافئان البطل بالزواج من الأميرة، ...).
- الآمر أو المفوض (يوكل إلى البطل القيام بمهمات، ...).
- البطل (يؤدي المهمات الصعبة، يتزوج الأميرة، ...).
- البطل المزيف (يقوم بمهمة البحث، يعاقب، ...).

جريماس من بنية الجملة: مسند إليه– فعل– مفعول به، واقترح نموذجه العاملي الصالح لكل الحكايات، على اعتبار وجود نحو مشترك لها كلها، أيا يكن الجنس الذي يستثمرها بوصفها مادة للحكي.[34] والنحو المشترك المقصود هنا هو: "نحو القص، أو النحو العاملي الذي يكشف عن قواعد الخطاب القصصي أو تنظيم السرد، وهي التي تمثلت بالنموذج العاملي، والبرامج السردية، وملفوظات الحالة، وملفوظات الفعل، وعاملي الذات والذات المضادة وكفايتهما وأدائهما، وعلاقتهما مع مختلف العوامل في النموذج العاملي".[35]

ويمكن للباحث أن يوضح النموذج العاملي بهذه الصورة:[36]

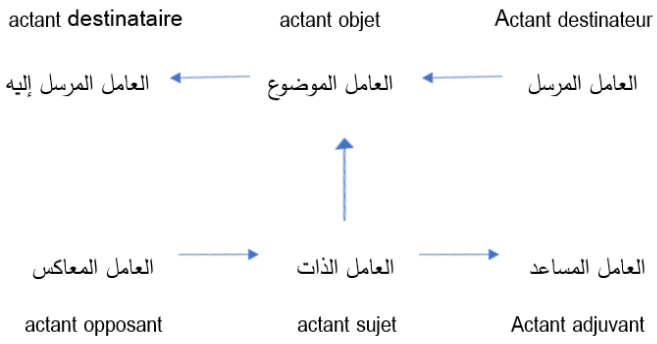

وفي ضوء محاور هذا النموذج يمكنه أن يضع نموذجا عامليا لكل لهجة من اللهجتين اللتين قاربهما في المبحث الأول، فاللهجة النسوية يمكن مقاربة نموذجها العاملي على هذا النحو:

المرسل: حقوق المرأة، المعرفة **المرسل إليه:** المرأة

الذات: المرأة النسوية والنسويون[37]

الموضوع: حقوق المرأة وحريتها

المساعد: القانون، المنظمات الحقوقية، النسويون، والنسويات

المعاكس: الأبوية: القبيلة، الخطاب الديني المتشدد، السلطة السياسية، المرأة المتصالحة مع الوضع القائم.

واللهجة الأبوية: يمكن مقاربة نموذجها العاملي على هذا النحو:

المرسل: العادات والتقاليد **المرسل إليه:** الرجل

الذات: الأب الأخ الزوج **الموضوع:** السيطرة على المرأة والقوامة

المساعد: العادات والتقاليد، والعرف القبلي، المرأة المتعايشة المعاكس: الخطاب النسوي

والسؤال، ما الذي يمكن للباحث فهمه من خلال معطيات هذه النماذج؟ لا شك أن غايته هي فهم طبيعة الصراع بين اللهجتين، وكيف تفاعلت معه الرواية على مستوى اللغة، والذي يمكن فهمه يتمحور في طبيعة تلك العلاقات التي تربط العوامل ببعضها، ولا سيما تلك العلاقة بين العامل الذات والعامل المعاكس، وحين العودة إلى هذه النماذج العاملية للهجات، يمكن للباحث القول إن كل لهجة لها ذات أو ذوات عاملة، وموضوع تسعى الذات إلى الاتصال به، وبالمقابل هناك عامل معاكس يحول دون أن تحقق ذات الفعل هدفها، أي أنه يمنعه من الاتصال بموضوعه، وإذا تأملنا هذه العوامل المعاكسة فإننا

[34] انظر: نبيل أيوب، النقد النصي وتحليل الخطاب، ص: 34 – 35.
[35] نفسه، ص: 102.
[36] صورة الترسيمة بهذا الشكل نقلا عن نبيل أيوب، مرجع سابق، ص: 35.
[37] نقصد بالنسويين من يتبنى الخطاب النسوي ومناصرة المرأة من الرجال، حيث أن الخطاب النسوي لا تتبناه المرأة فقط، ولكن هناك رجال كتاب ومفكرون تبنوا هذا الخطاب وناصروه ونظروا له، ومعظمهم ليبراليون ويساريون.

نجدها تنتمي إلى لهجات أخرى، وهذا ما يجعل تلك اللهجات الأخرى التي ينتمي إليها العامل المعاكس لهجات معادية لأنها تحول دون تحقيق عوامل هذه اللهجة هدفها المتمثل في الاتصال بموضوعها.

بشيء من التفصيل، يمكن القول: إن اللهجة النسوية تتصارع مع اللهجة القبلية واللهجة الأبوية ولهجة السلطة واللهجة الدينية، وهو صراع حتمي؛ لأنه من منظور برنامجها السردي، تسعى ذواتها الفاعلة عبر ممثليها، مثل عالية وصبحية وسماء، إلى الاتصال بموضوعها، وهو حقوق المرأة ومساواتها بالرجل وحريتها واستقلالها، ولكن يقف دون تحقيق هدفها عوامل معاكسة تنتمي إلى تلك اللهجات المعادية لها، كالأب والأخ والزوج من ممثلي اللهجة الأبوية، والشيخ والعادات والتقاليد من عوامل اللهجة القبلية وخطاب السلطة الذي هو أيضا خطاب ذكوري أبوي، والخطاب الديني الذي تعتبره النسويات خطاب ذكوري وأبوي ولا سيما الخطاب النسوي الليبرالي واليساري الاشتراكي، وتستثنيه من قائمة الخطابات المعادية الخطابات النسوية الإسلامية، كونها تعتبر الخطاب الديني يناصر المرأة، ولكن المشكلة تكمن من منظورها، وهذا ما نتفق معه، في ممارسات بعض ممثلي الدين، أي المتدينين وخطاباتهم التي تتعارض والمرجع، وكذلك توظيف القبيلة والسلطة للدين وتأويله حسب مصالحها وبرامجها السردية. كل هذه العوامل التي لها ممثلون في تلك اللهجات تعتبر من منظور الخطاب النسوي عوامل معاكسة ولذلك يحتم عليها الأمر أن تدخل معها في صراع، هذا الصراع حتمي، ويجب أن يفضي إلى نتيجة، وهي أن تنتصر على تلك العوامل المعاكسة وتجعلها جزءا من برنامجها السردي؛ أي تقتنع بخطابها وتتحول من عوامل معاكسة إلى عوامل مساعدة، أو تنهزم أمامها وتصبح جزءا من سرديات تلك اللهجات المعادية، أي تصبح موضوعا لها، من خلال إسكاتها والسيطرة عليها، فالنظام الأبوي مثلا موضوعه الذي يسعى إلى الاتصال به هو السيطرة على المرأة وإبقاؤها تحت تصرفه وإدارته، أي استيعاب برنامجها السردي وتحويله إلى جزء أو موضوع في برنامجه السردي.

وما قيل بخصوص صراع اللهجة النسوية مع اللهجات الأخرى يمكننا أن نقوله بخصوص كل لهجة إن لها برنامجا سرديا تسعى إلى إنجازه، ولأننا هنا معنيون بصراع اللهجة النسوية مع الأبوية فلن نتحدث عن الصراعات بين اللهجات الأخرى.

ولكن المهم هو الإشارة إلى التحول الذي مرت به بعض الشخصيات أو الممثلين، كتحولها مثلا من عامل ذات إلى عامل معاكس، لأنها انهزمت، وبانهزامها أصبحت عاملا مساعدا لبرامج معادية أو معارضة؛ أو جعلت برنامجها يفقد ذاتا أو عاملا مساعدا، فمثلا اختفاء سماء يمثل انهزاما للخطاب النسوي وانتصارا للخطاب الأبوي والخطاب القبلي، وعالية قررت أن تسافر لإكمال دراستها، وصبحية رغم مقاومتها إلا أنها لم تحقق هدفها الذي تحطم أمام صخرة الذكورية المفرطة التي مثلتها شخصية حميد الغامضة والمحيرة، وإن كانت النهاية المفتوحة لرواية صنعائي ولعلاقة صبحية بحميد تجعلنا لا نحكم بفشل برنامجها السردي، ولكننا نستطيع أن نجزم أنه لم

يتحقق بعد. "لا أعرف ماذا يريد حميد مني، وماذا يريد من المدينة التي يعشقها! كلانا خابت توقعاته".[38]

ب- خطاب اللهجة والآخر بين الاتصال والانفصال:

هناك خصوصية في خطاب اللهجة الجماعية في اليمن، تتمثل في عدم وجود مفاصلة مع خطاب اللهجة المعادية أو المتصارعة معها، فخطاب اللهجة النسوية ينتقد الخطاب الأبوي إلا أنه يحمل في طياته تصالحا من نوع ما معه، وخطاب السلطة والقانون يعادي خطاب القبيلة والعرف وفي الوقت ذاته يظهر تواطؤا معه، وخطاب اليسار الاشتراكي أو الناصري يعادي خطاب اليمين الرأسمالي أو الديني أو خطاب السلطة وفي الوقت ذاته يتواطأ ويتصالح مع بعض من توجهاته. فنجد عالية اليسارية والليبرالية التقدمية تدرس في مركز ثقافي بريطاني، وهو توجه ذو تجه رأسمالي، وتتحدث باسم الكادحين والمقموعين وفي الوقت ذاته تسعى للحصول على منحة دراسية في الخارج دون أن تخبر شريكها في النضال، ودون أن تحدث نفسها أو تحدثنا عن الجهة التي تدعم مثل هذه المنح. وفي صنعائي صبحية الفتاة المنفتحة والتنويرية تصر على أن يكون حبيبها المنشود صنعانيا خالصا، أي أنها رغم موقفها المعادي لمنطق القبيلة المناطقي والعنصري تقع في المناطقية وتتواطأ مع هذه الرغبة التي هي إحدى مشكلات المجتمع من منظور أصحاب التوجه المدني الذي تدعمه وتؤيده وتنتمي إليه. كما أنها تتواطأ مع حميد الشخصية الإشكالية التي تمثل ذلك المزيج المركب والمزدوج من قيم المدنية والقبلية وقيم الذكورية والأبوية التي تتناقض ويتجسد ذلك التناقض في علاقته بالمرأة العشيقة والحبيبة التي يريدها متحررة من جهة، حين يتعلق الأمر برغباته الشخصية، الجنسية مثلا، وهي رغبات تتعارض من حيث الانفتاح مع منظوره لحياة ابنته التي حرمها حتى من التعليم وزوجها بابن الشيخ الغني متواطئا مع القيم التقليدية التي يعارضها في خطابه. كما تبدو صبحية متواطئة مع تلك اللهجة الأبوية حيث ارتدت العباءة السوداء لكي تبدو منتمية للمجتمع لا مختلفة عنه، لأن الاختلاف من وجهة نظرها يحتاج إلى مواجهة وتحد وقوة وصبر.[39]

وإذا تمت العودة إلى الوضع السوسيولغوي الذي عاشه المجتمع في التسعينات فسيوجد تفسير لذلك التواطؤ الذي أبدته خطابات اللهجات المتعادية في المجتمع، فالمعارضة تعادي السلطة إلا أنها تتواطأ مع الرئيس تحت ذريعة "جني تعرفه ولا أنسي ما تعرفه"، ونجد إجابة لذلك التواطؤ الذي جعل أحزابا ذات خطابات متعادية تؤسس تحالفات سياسية، كـ"اللقاء المشترك" على سبيل المثال، أو تلك الأحزاب التي شكلت التحالف مع الحزب الحاكم، ونجد إجابة عن السؤال: لماذا تدخل الدولة في صراع مع القبيلة وفي الوقت ذاته تتصالح معها وتمكنها من النفوذ في مفاصل الدولة؟

وهذه الخصوصية يمكنها أن تقود الباحث إلى افتراض أن هذه الخطابات في معظمها خطابات نقدية وليست خطابات إيديولوجية بالمعنى الدقيق للخطاب الإيديولوجي. والنقاد يوجبون التفريق بين الخطاب الإيديولوجي والخطاب النظري أو النقدي، في الخطاب النقدي تستطيع ذات التلفظ تبني موقف نقدي ذاتي

[38] صنعائي، ص: 287.

[39] انظر: نفسه، ص: 100.

عن طريق التفكير في المصالح الاجتماعية والقيم التاريخية المتغيرة التي يعبر عنها خطابها، وبفضل هذا الموقف النقدي والمتأمل يمكنها بشكل ما تخطي إيديولوجيتها الخاصة، وهذا لا يعني فصل الخطاب النقدي عن الإيديولوجية ولكن إمكانية مساءلتها.[40] لكن الخطاب الإيديولوجي يجعل ذات التلفظ تعتبر لهجتها الجماعية وخطابها أنهما طبيعيان وتميل إلى اعتبار خطابها أنه الخطاب الوحيد الممكن والصحيح حول التاريخ، وأنه يتطابق بشكل ضمني أو صريح مع مرجعه أو مراجعه، ويمنع بوعي أو دون وعي أي تصور خطابي آخر للموضوع أو المرجع يختلف عن تصوره، ومن ثم يكون الحوار معه مستحيلا.

يتجسد هذا التفريق في الرواية اليمنية عبر نماذجها التي درسناها في الخطاب الإيديولوجي الذي تبنته لهجات تجاه لهجات أخرى وخطاباتها المعادية لها؛ إذ جعلت تلك الخطابات كلية متجانسة، وألغت أو استبعدت طبيعة الصراع الداخلي الذي يتسم به خطاب تلك اللهجات الجماعية، الأمر الذي جعلها بوعي أو دون وعي تلغي أو تنفي أي دور قامت به تلك الجماعات أو أي مساهمة لها أو تصور يتطابق وتصورها للموضوع؛ كما تعمدت ألا تتساءل أو تشكك في أطروحات الجماعة التي تنتمي إليها، وكيف تبدو متناقضة مع بعضها، على سبيل المثال، تتخذ بعض الشخصيات النسوية موقفا معارضا لخطاب سلطة الدولة وسلطة القبيلة وسلطة الأب، وسلطة الأستاذ، وسلطة الدين، واتهام كل هذه الخطابات بأنها ضد المرأة بالدرجة الأساسية، ثم ضد المعرفة والحرية، والمدنية والعدالة الاجتماعية، وهذا الموقف صادر عن منظور إيديولوجي يقتضي بالضرورة هذه الصرامة. ولكن في المقابل نجد بعض الخطابات النسوية صادرا عن موقف نقدي، يتعامل مع خطابات الآخر بموضوعية، إذ استطاعت أن تسائل حتى خطابها وخطابات تبدو متعاطفة معها وتنتقدها من زاوية استسلامها أو تعارضاتها والازدواجية التي تظهر في خطاباتها إلى حد اللامبالاة. فصبحية مثلا استطاعت أن تقدم خطابا نقديا لخطابها النسوي حين اعترفت بتواطئها أو تصالحها مع الخطاب الأبوي وذلك لأن الاختلاف من وجهة نظرها يحتاج إلى مواجهة وتحد وقوة وصبر. أي أنها لا تملك ما كان ينبغي أن تملكه.

5- أصوات المرأة في الرواية اليمنية المعاصرة:

من الجدير بالذكر، أن اللهجة النسوية واللهجة الأبوية تفاعلت معهما الروايات اليمنية التي قاربناها، ووجدنا أن حضورهما كان مهيمنا في رواية وغائبا في أخرى. كما يجدر بنا الإشارة إلى أن اللهجة الواحدة لها أصوات وليس صوتا واحدا، تتعدد هذه الأصوات بتعدد شخصيات اللهجة وفواعلها وممثليها، كما يجدر بنا الإشارة إلى أن الصوت الواحد قد يصدر عن شخصية واحدة وقد يكون صوت أكثر من شخصية تتماثل في تصوراتها وموقفها من الواقع. وسنحاول هنا مقاربة هذه الأصوات وكيف جسدتها فواعل متعددة.

هذا الحضور المتباين لصوت المرأة في الرواية اليمنية المعاصرة كان على اختلاف أصدائه وتباينه صوتا مرتفعا وبارزا، زاحم الصوت الذكوري؛ معارضا له، أو متصالحا معه، ويمكننا أن نصنف ذلك التباين في أربعة أصوات:

- صوت المرأة المتعلمة الرافضة للواقع.

[40] ينظر: بيير زيما، النقد الاجتماعي، ص: 200، "بتصرف".

- صوت المرأة المتعلمة المتصالحة مع الواقع.
- صوت المرأة التقليدية.
- صوت المرأة المقهورة.

1. وسيتم الوقوف أولا على صوت المرأة المتعلمة المتصالحة مع الواقع، لكونه الأكثر شيوعا، وإن حاولت الرواية سحب شخصياته إلى الظل، لتصبح شخصيات ثانوية، لم تحتل مساحة واسعة من الأحداث، الأمر الذي جعلها شخصيات غير رئيسية، ولا شك أن هذا يشي عن منظور وموقف صدرت عنه الرواية، يتراسل وصوت المرأة المتعلمة الثائرة على واقعها والرافضة له.

صوت المرأة المتعلمة المتصالحة مع الواقع مثلته فتحية وزميلاتها الموظفات الحكوميات في رواية قهوة أمريكية، وزميلات سماء في رواية بلاد بلا سماء. ومعجبات الفندم في رواية صنعائي؛ فهؤلاء نساء متعلمات، ويشغلن وظائف ومناصب حكومية، أو طالبات جامعيات، لكنهن متصالحات مع الواقع، فزميلة سماء تصالحت مع النظرة الذكورية للمرأة، ولم تعد تشغلها معاكسة الشباب لها، بل رأت ذلك شيئا لا يثير غضبها أو رفضها، " أنا لست نفورا من الجنس، بل إني أرقب بفارغ الصبر قدوم عريسي.. ولكن هذا التحرش البصري الذكوري المفرط الشدة يغيظني، ويكاد يصيبني في بعض الأحيان بالجنون، فأبذل جهدا هائلا للامتناع عن الصراخ والسباب. من يعلم. قد أتبدل بعد الزواج، وأصبح مثل زميلتي في الكلية "نسمة" التي تبتهج من تحديق الرجال فيها!".[41] وزميلات عالية، يعتبرن أن المرأة في ظل الجمهورية حققت تقدما كبيرا ونالت حقوقها التي هي بالتأكيد حقوق تتفق وواقع المرأة الاجتماعي، أي أنها حقوق لا تساوي الرجل بالمرأة وفوق المنظور النسوي، بل تجعل المرأة تقف على بعد مسافة من الرجل. وهي رؤية من منظورها لا تقلل من شأن المرأة أو تحط من قدرها وإنما هي رؤية جوهرها أن الرجل له خصوصية وللمرأة خصوصية لا تجعلهما يتطابقان.[42] وبعضهن، عائشة على سبيل المثال، التي تعمل في بنك كبير تتهم عالية حين انتقدت عدم مشاركتهن في المظاهرة، بالمراهقة الفكرية، وتقول لها: "من يوم عرفتن لحية ماركس النجسة وأنتن ترين أنفسكن فوق الناس..."،[43] ومعجبات الفندم موظفات، وربما يشغلن مناصب حكومية وحزبية، غير أن إعجابهن يشي عن تصالح مع الواقع السياسي، كونه الرئيس، وارتداؤهن النقاب وتناولهن الطعام من تحت النقاب يشي عن تصالح مع الواقع الاجتماعي برغم قيوده وثقله على المرأة من منظور نسوي، "بعض النساء في الطاولة التي استقريت عليها قمن بإلقاء سيل من الأسئلة تجاهي عما قاله لي فخامة الرئيس؛ لأني الوحيدة التي تحدث إليها! قالت إحداهن بوله طاغ على صوتها بعد أن شرحت تفاصيل الحديث: يا بختك!... ثم أردفت بوله أكثر: أنا أعشق فخامته، وسأظل أحبه حتى آخر عمري، لم تعلق إحداهن على كلامها بل بدا أن جميعهن واقعات في غرام فخامته!!! عرفن تاريخي في لحظات، ولم أتمكن من سؤالهن عن شيء، حتى أسمائهن، لم يبادرن بتعريف أنفسهن، باعتبار أنهن مشهورات وأنني بالتأكيد أعرفهن! بينما أنا بالفعل لم أكن أعرف أي واحدة منهن!"[44] وهنا إشارة ذكية من الراوية صبحية حيث تؤكد عدم معرفتها لهن رغم

[41] بلاد بلا سماء، ص: 9.
[42] ينظر: قهوة أمريكية، ص: 28.
[43] نفسه، ص: 20.
[44] صنعائي، ص: 171.

كونهن مشهورات من منظورهن، وكأنها توحي بأن أمثال هؤلاء واهمات ويعشن في ظل الرجل ولذلك لم يعرفن. ثم تؤكد ذلك حين تشير إليهن ثانية بقولها "من كن يضعن اللثام على وجوههن يأكلن من تحته. سألت نفسي في تلك اللحظة هل يجدن متعة في الأكل بهذه الطريقة؟ يد ممسكة بالنقاب والأخرى تلتقط ما تيسر من الأكل بالملعقة لتحشره في فمها من تحته! هل مسألة تناول الطعام هي للشعور بالشبع فقط أم للشعور بالمتعة في رؤية الأكل وفي مذاقه وفي طريقة تناوله؟"[45] لقد وجهت نقدا ساخرا لهؤلاء النسوة، وفي الحقيقة لم يكن الطعام إلا معادلا موضوعيا أرادت من خلاله أن تعترض عن منظورهن للحياة. فهن لسن نساء عاديات، مثل ربات البيوت مثلا حتى يتصالحن مع قيود حياتهن بهذه الطريقة، فهن من منظورهن رموزا نسائية ومشهورات إلى حد أنهن لم يجدن حاجة في تقديم أنفسهن والتعريف بأسمائهن لصبحية. ولكنهن متصالحات مثلا مع رمز السلطة حتى العشق، ومتصالحات مع قيود العرف حتى الأكل بتلك الطريقة المقيدة لحريتهن خلف اللثام.

2. أما صوت المرأة المتعلمة الثائرة والرافضة للواقع، فتجسده عالية، سماء، وصبحية، وكل واحدة منهن شخصية رئيسية في الروايات الثلاث؛ قهوة أمريكية، بلاد بلا سماء، وصنعائي. وكونهن شخصيات رئيسة فهذا يعني أن الرواية اليمنية المعاصرة تتبنى منظور المرأة المتعلمة الرافضة للواقع. فعالية مناضلة يسارية، معارضة، انخرطت في مظاهرات مناهضة للسلطة إلى جانب الرجل الذي حاول رغم ثورته التحرش بها ومضايقتها، وهي تقف إلى جانبه في ميادين النضال السلمي حسب وصفها، وهي مناضلة حقوقية عابرة للحدود، فقد شاركت في مبادرة سلام تبنتها حقوقيات وناشطات من أجل كسر الحصار على العراق، وتعرضت مع زميلاتها على ظهر سفينة ابن خلدون للقمع والتعنيف، من جنود أمريكان اعترضوا السفينة، وحالوا دون تحقيق هدف المبادرة.

وسماء التي وقفت في وجه الواقع الاجتماعي القامع للمرأة أو المستغل لها، وانتهى بها الأمر ضحية مبادئها وقناعاتها، وصبحية الفنانة التشكيلية حاولت أن ترسم بريشتها واقعها المنشود، فجعلت من مرسمها رمزا لإعادة تشكيل الواقع كما ينبغي أن يكون، لا كما هو كائن. وعلى المستوى الاجتماعي، لم تستسلم لمنظور الذكورية للمرأة، فلم تقبل أن تكون لحميد تلك المحظية التي حلم بها من منظور ذكوري، وإنما أرادت أن يكون حميدها كما حلمت به، لا ذلك الحميد الذي وجدته في الواقع، كما أنها لم تسمح لشخصيتها بالذوبان في مرجل العادات والتقاليد، فقد اختارت لنفسها ألوانها الخاصة، فلبست الألوان الزاهية، وسارت مع الرجل في أزقة صنعاء وحواريها، وكسرت المألوف، وإن قدمت بعض التنازلات أحيانا، لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بمراعاة المزاج الاجتماعي العام. وسياسيا لم تتصالح مع السلطة فعبرت عن رفضها، وأبدت تذمرا من يوم النصر، ومن مأدبة العشاء، وتماهت مع أيديولوجية الناصريين المناهضين للسلطة القائمة وقتها، وأيدت خطابهم السياسي وسرديتهم التاريخية.

3. وصوت المرأة التقليدية، يمكننا أن نسميه صوت (ربات البيوت)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن كل امرأة متزوجة تُعَدُّ ربة بيت؛ أكانت موظفة أو غير موظفة، ولكن القصد بمصطلح "ربة البيت" هنا هو تلك المرأة

[45] نفسه، ص: 171.

المتزوجة التي لا تشغل وظيفة، حكومية أو خاصة، وتقضي حياتها في بيتها، مع زوجها وأولادها وأفراد عائلتها. وهذا الصوت جسدته أم سماء، وأم علي، في رواية بلاد بلا سماء، وأم صبحية وجدتاها، وأم حميد وجدته، وأم غمدان، في رواية صنعائي، وحسناء وأمها، وصديقتها الزين، في رواية إنه البحر. فهن أميات أو متعلمات تعليما بسيطا، فقد يجدن القراءة، كأم سماء مثلا. وهذا الصوت متصالح مع الواقع وشخصياته لا يجدن الرغبة في تغييره، ولا القدرة على ذلك، في حال كُنَّ على وعي بهضم حقوقهن، إذ يخترن طريق التضحية من أجل الشرف والأبناء وتماسك العائلة. فتجد المرأة نفسها مقيدة برغبات الرجل وظروفه، فأم صبحية اضطرت أن تقيم في القاهرة ليس حبا فيها، وإنما تحقيقا لرغبة زوجها وظروفه، وأم سماء تعلم أن ابن الجيران عليا، أو القربان كما تسميه رواية بلاد بلا سماء، بريئا ولكنها غير قادرة على مواجهة زوجها وأبنائها وشيخ القبيلة ورجاله بالحقيقة. وحسناء عاجزة عن فعل شيء وليس بإمكانها سوى انتظار السحيم، رغم أن رغبتها شديدة في أن يترك البحر ورحلات الصيد ويظل قريبا منها.

4. وصوت المرأة المقهورة، جسدته العشيقة حورية أو مسك، كما يحب أن يسميها حميد في رواية صنعائي، والأرملة عافية،[46] التي كان يستغلها سلطان صاحب البقالة في رواية بلاد بلا سماء، فكان صوتا مقهورا، ومنكسرا، عبرت عن قهرها بتمردها ولا مبالاتها، كحورية التي اختارت لنفسها أسلوب حياة خاصة غير مبالية، إذ قبلت بحميد عشيقا دون أن تضع حدا لعلاقتها به، ودون مبالية إن كانت حوريته الوحيدة أو إحدى حورياته الكثر، كما أنها على مستوى الدين غير مبالية فقلبها خاو منه كإناء نحاسي له أنين.[47] إنه أنين الانكسار وخواء اللامبالاة. أما المُقَهْوِيَة (العاملة) في رواية صنعائي فقد حاولت الصمود أمام انكسارها، رغم إحساسها بأنها عرضة لاستغلال الذكور، لذلك «يقولون إن المقهوية لا تبيع شيئا غير القهوة، هي أيضا تقول ذلك، وتضيف: وقليل من الدلال الرصين لأضمن عودة زبائني... المقهوية تستلم ثمن القهوة وتوزع حنينها الأنثوي مجانا. تمنح العيون الجائعة مدى واسعا للغوص في أعماق الحلم اللذيذ دون أن تطلب شيئا. تشيّع زبائنها بنظرات منكسرة متمنية لهم السلامة، ثم تنكفئ على حطام من الرغبات والأشواق على خرائب وجدانية تركتها جحافل التتار الذكورية وراءها صوب الإجهاز على خرائب أخرى».[48] وهنا في الحقيقة تتجسد انفصامية في شخصية الرجل؛ إذ نجده يرغب في أن تقوم المرأة بما ينبغي أن يقوم به هو، أو يشاركها القيام به، وحين تقوم بذلك يعتبرها من خلال ذلك قد تجاوزت حدود أنوثتها، وكأنها بذلك تقدم نفسها مجانا لرغباته ونزواته.

- **صوت المرأة وبعده الرمزي:**

يمكن للباحث أن يذهب إلى القول بأن صوت المرأة سعى في الغالب إلى مقاومة الخطاب الذكوري السلطوي المهيمن عليها، وكشف تناقضات الرؤية الذكورية إلى المرأة، على مستوى الأسرة أو القبيلة، وفي الوسط النخبوي، كالحرم الجامعي أو المؤسسات الحكومية والأهلية، لذلك لم تنجُ سماء من ذكورية أستاذها الجامعي عقلان، التي ذهبت ضحيتها، ولم تنجُ صبحية في مرسمها، من تهكم الزوار وسخريتهم

[46] انظر: بلاد بلا سماء، ص: 89.
[47] انظر: صنعائي، ص: 256.
[48] انظر: نفسه، ص: 105.

من امرأة يمنية تدير مرسم في قلب مدينة صنعاء القديمة،[49] ومن محاولة استغلال أنوثتها ممن تراه حميدا، ناهيك عمن سواه.

كما يمكنه الذهاب إلى القول بأن المرأة في الرواية اليمنية المعاصرة تأتي رمزا لوطن مستلب من جهة، وبعيد المنال من جهة أخرى، كما يأتي العاشق رمزا للمواطن الحالم بوطن يلوذ به ويحتمي بحماه، وفي الوقت ذاته يبدو أنانيا، فيرى الوطن متجسدا في تحقيق مصالحه الذاتية، فلا يقدر معشوقته/وطنه حق التقدير، ولهذا كانت سماء وطنا بالنسبة لابن الجيران القربان الذي ذهبت حياته في سبيل الوصول إلى حلم لم ينله. فحب هذا الشاب المقموع هو معادل موضوعي لبوح الشباب بوطن ينشدون حياة كريمة في رحابه، وقد ذهب ضحية ضعفه وبراءته وانعدام حيلته. وأزمة العلاقة العاطفية بين حميد وصبحية ووصولهما إلى طريق مسدود له معنى رمزي، يعكس أزمة الإنسان اليمني واغترابه عن ذاته، ونجاح تلك العلاقة بين حميد ومعشوقاته خارج مؤسسة الزواج الشرعية وفتور علاقته بزوجته يشي عن أزمة يعيشها أصحاب السلطة إذ يستغلون الوطن خارج حدود العقد الاجتماعي والأخلاقي الذي يربطهم بالوطن، فينجحون في استغلاله عبر قنوات الفساد ويفشلون في إقامة علاقة ولاء ووطنية حقيقية وشرعية مع الوطن. وهذا قد يوحي بما يمكن أن يسمى ثقافة الفساد، وهي ثقافة سائدة، وتيار يجرف الجميع نحو خيانة الذات والمجتمع والوطن. لذلك أصبح جسد المرأة يرمز للوطن، الذي يكون بعيد المنال أحيانا، كعجز ولد الجيران من الفوز بسمائه، أو فشل حميد في الفوز بجسد صبحيته، بعد وجبة الغداء التي عقبت اصطحاب حميد لصبحية من الحمام التركي إلى بيته القديم في المدينة القديمة الذي أصبح وطنا لمغامراته الغرامية، وكجسد عالية الذي طالما حلم عارف بأن يناله ويفوز به دون جدوى، وفي أحيان أخرى يصبح جسد المرأة معادلا موضوعيا لوطن مغتصَب، مثل جسد حورية أو مسك الذي استباحه حميد وأجساد معشوقاته الأخريات التي اتخذهن للمتعة فقط، وجسد قمر ومعشوقات سالم المرزوع في إنه البحر. ولا يخفي البعد الرمزي للاسم، سماء، صبحية، عالية، قمر، فكلها أسماء تدل على السمو والرفعة والضوء والنور. كما يمكن القول بأن المرأة التي سلبها الرجل حياتها وحقوقها وجسدها هي ضحيته، فالوطن الذي صار مستلبا وغير صالح للبقاء فيه، هو ضحية أبنائه وفريستهم قبل سواهم. وتلك بعض حيل السرد التي تحسب للمتخيل الروائي في الإيماء أو الإيحاء بالمعنى السياسي دون إشارة مباشرة إليه، بقصد من الروائيين أو دون قصد، فيبدو بسبب إضماره كأنه غير مقصود لذاته. لذلك تلجأ لغة السرد إلى تقنيات فنية غير مباشرة، من أجل تسريب خطابها للقارئ، كالتقنع بالمرأة في تجسيد علاقة السلطة بالشعب أو المواطن بالوطن ومنظورها إليهما.

الخاتمة:

يمكن للباحث إيجاز القول في خاتمة هذه الدراسة بأنه قارب علاقة المرأة بالآخر وصوتها في الرواية اليمنية المعاصرة، من منظور سوسيونصي، وذلك في أربع روايات اتخذها أنموذجا لمقاربته؛ هي صنعائي لنادية الكوكباني، وبلاد بلا سماء لوجدي الأهدل، وقهوة أمريكية لأحمد زين، وإنه البحر لصالح باعامر، وقد وقف الباحث بعد التأطير المنهجي، على تجليات

[49] انظر: نفسه، ص: 28.

اللهجتين النسوية والأبوية في الروايات التي قاربها على المستوى المعجمي والتركيبي، كما وقف في مقاربة المستوى السردي على النموذج العاملي وصراع البرامج السردية النسوية والأبوية، وخطاب اللهجة والآخر بين الاتصال والانفصال. ثم وقف على تجليات أصوات المرأة في الرواية اليمنية المعاصرة، وهي أربعة أصوات؛ صوت المرأة المتعلمة والرافضة للوضع القائم، وصوت المرأة المتعلمة والمتصالحة مع الوضع القائم، وصوت المرأة التقليدية؛ ربات البيوت، وصوت المرأة المقهورة. وانتهى إلى البعد الرمزي للمرأة في الرواية اليمنية المعاصرة، من خلال مقاربة دلالة المفردات والتراكيب وأسماء تلك الشخصيات وبعض ملفوظاتها.

وقد توصل الباحث إلى نتائج يمكنه إجمالها على النحو الآتي:

- على المستوى المعجمي تجلت مفردات وعبارات تشف عن خطاب نسوي ولهجة نسوية استوعبتهما الرواية اليمنية المعاصرة على مستوى التناص.
- على المستوى التركيبي تجلى الآتي:

1- هيمنة خطاب نسوي على ملفوظات الشخصيات النسائية في الروايات المدروسة، وفي هذه الملفوظات الجملية والتركيبية تجلت ثيمة الجنس كاشفة عن بعدين دلالين؛ الأول: أن المرأة تعيش في مجتمع ذكوري جعلها بين سندان التحرش من جهة والرقابة الأبوية؛ الأب، الأخ، الزوج، المجتمع، من جهة أخرى، والثاني: كشف عن جرأة نسوية دفعت المرأة إلى مناقشة هذه الثيمة دون تحفظ أو مواربة وكأن في ذلك تعبيرا عن رغبة نسوية لدى المرأة في التحرر.

2- أن المرأة تخوض صراعا مع الآخر الفرد/المجتمع في مختلف جوانب الحياة. كما تجلى أن الخطاب النسوي لم يكن منسجما بل كان متعارضا مع بعضه؛ الأمر الذي جعله يتسم بالصراع الداخلي.

3- أن الصراع بين اللهجات الجماعية كان حتميا، وذلك لتعارض المصالح. فتعارض مصالح اللهجة النسوية مع مصالح اللهجة الأبوية اقتضت حتمية الصراع بينهما.

- على المستوى السردي، تجلى الصراع على شكل صراعات لغوية بين برنامجين سرديين مختلفين، ومن خلال النماذج العاملية تجلى للباحث أن لكل لهجة ذواتا عاملة وموضوعا تسعى إلى الاتصال به، وعوامل معاكسة تحول دون وصولها إلى موضوعها، هذه العوامل المعاكسة هي ذوات عاملة أو مساعدة في برامج سردية للهجة/لهجات أخرى، لها نموذجها العاملي. وقد قام الباحث بتحديد نموذج عاملي للهجة النسوية، ونموذج عاملي للهجة الأبوية، كشف من خلالهما طبيعة الصراع بين اللهجتين وأسباب حتميته.
- ومن نتائج الدراسة أن لخطاب اللهجة الجماعية في اليمن خصوصية، كما تجسدها الرواية، تمثلت في عدم وجود مفاصلة أو قطيعة مع خطاب اللهجات المعادية أو المتصارعة معها؛ فخطاب اللهجة النسوية ينقد خطاب اللهجة الأبوية، إلا أنه يحمل في طياته تصالحا من نوع ما معه. وخطاب السلطة والقانون يعادي خطاب القبيلة والعرف وفي الوقت ذاته يظهر تواطؤا معه. ويمكن قول ذلك مع مختلف خطابات اللهجات الجماعية؛ السياسية والاجتماعية والفكرية. وهذه الخصوصية قادت الباحث إلى القول بأن هذه الخطابات في

معظمها خطابات نقدية وليست خطابات إيديولوجية صرفة، والنقاد يوجبون التفريق بين الخطاب الإيديولوجي أو الخطاب النقدي.

- ومن أهم نتائج الدراسة أنها توصلت إلى أن للمرأة أصواتا لا صوتا واحدا في الرواية اليمنية المعاصرة، وهذه الأصوات تتعدد بتعدد شخصيات اللهجة وفواعلها وممثليها بلغة جريماس. والصوت قد يصدر عن شخصية واحدة أو عدة شخصيات تتماثل في تصوراتها وموقفها من الواقع. كما توصلت الدراسة إلى أن صوت المرأة على اختلافه وتعارضه كان صوتا بارزا ومزاحما الأصوات الأخرى، وقد تجلى صوتها في أربعة أشكال:

1- صوت المرأة المتعلمة الرافضة للواقع والثائرة عليه.

2- صوت المرأة المتعلمة المتصالحة مع الواقع.

3- صوت المرأة التقليدية، الأمية غالبا.

4- صوت المرأة المقهورة.

- ثم انتهت الدراسة بمقاربة البعد الرمزي للمرأة في ضوء ما توحي به بعض ملفوظات الشخصيات، وفي ضوء رمزية الأسماء من منظور سيميائي، والسوسونصية تتكئ على التحليل السيميائي للغة، فتجلت المرأة رمزا لوطن مستلب من جهة أو بعيد المنال من جهة أخرى. وتجلى العاشق رمزا لمواطن حالم بوطن يلوذ به إلا أنه يفشل في الاتصال بموضوعه، وفي الوقت ذاته يبدو أنانيا يرى ذلك الوطن متجسدا في مصالحه الذاتية؛ تماثل تلك المتعة الجسدية والآنية التي أرادها العاشق من معشوقاته.

وينتهي الباحث إلى القول بأن هذه الدراسة تعد تمهيدا لموضوعها، ويوصي بأن تكون هناك دراسات تستقصي صورة المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية اليمنية المعاصرة، كأن تدرس تحولات علاقة المرأة بالآخر خلال فترات متعاقبة، كصورة المرأة في الرواية التسعينية ورواية العقد الأول والثاني من القرن الجاري.

كما يوصي بأن تُدرَس اللهجات الجماعية المختلفة في الرواية اليمنية المعاصرة والنصوص الأدبية الأخرى، فهي ما زالت مادة خصبة لدراسات علمية وأبحاث تحيط بجوانب مختلفة منها وتكشف عن كيفية تفاعل النص الأدبي مع المشكلات الاجتماعية والتاريخية على مستوى اللغة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الروايات:

[1] أحمد زين، قهوة أمريكية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 2007م.

[2] صالح باعامر، إنه البحر، دار طوى، لندن، ط.1، 2013م.

[3] نادية الكوكباني، صنعائي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء. ط.1، 2013م.

[4] وجدي الأهدل، بلاد بلا سماء، مركز عبادي للخدمات والنشر، صنعاء، ط.3، 2008م.

ثانيا: المراجع العربية:

[1] الحبيب السالمي، الجنس في الرواية، ضفة ثالثة، 2017م.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990.

[3] حميد لحمداني، النقد الروائي والأيديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: الأولى، 1990م.

[4] سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، تر: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.
[5] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص – السياق)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط.1، 1989م.
[6] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن– السرد– التبئير)، ط:3، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
[7] صادق السلمي، التفاعل النصي في الرواية اليمنية روايات حبيب سروري أنموذجاً، رسالة دكتوراه مقدمة إلى شعبة اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الحسن الثاني، المغرب، بنمسيك. الدار البيضاء، 2012م.
[8] عبد المغني دهوان، النص الروائي اليمني، مقاربة سوسيولوجية، أطروحة مقدمة إلى قسم اللغة العربية بكلية التربية–عدن، لنيل درجة، الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، تخصص: أدب عربي حديث، 2009م.
[9] عبد المغني دهوان، الرواية والمجتمع، قراءة سوسيو نقدية، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، ط:1، 2018م.
[10] نبيل أيوب، نص القارئ المختلف وسيميائية الخطاب النقدي، مكتبة لبنان ناشرون، ط:1، 2011.
[11] نبيل أيوب، النقد النصي وتحليل الخطاب، نظريات ومقاربات، مكتبة لبنان ناشرون، ط:1، 2011.

ثالثا: المراجع المترجمة:

[1] بيير زيما، النص والمجتمع. آفاق علم اجتماع النقد، تر: أنطوان أبو زيد، المنظمة العربية للترجمة، ط:1، بيروت، 2013م.
[2] بيير زيما، النقد الاجتماعي.. نحو علم اجتماع النص الأدبي، تر. عايدة لطفي، مراجعة: أمينة رشيد وسيد البحراوي، ط:1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.
[3] جوليا كريستيفا، علم النص، تر. فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 2، 1997.
[4] فلاديمير بروب، موروفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن، سميرة بن عمو، ط:1، 1996م، شراع للدراسات والنشر، دمشق.
[5] ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع القاهرة، ط.1، 1987م.
[6] ميخائيل باختين، الماركسية وفلسفة اللغة، تر. محمد البكري، دار توبقال للنشر، ط1، 1986م.